بارتكابه الخطأ أو ركوبه مركب التهويل والتضخيم بشكل يخرجه من دائرة الموضوعية والبحث العلمي، حينما ينطلق ـ وهو يتناول موضوع «الميزان العسكري» للصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ من القاعدة التي مبناها ان الأمة العربية، بأقطارها الكثيرة، تملك موارد وطاقات وقدرات بشرية ومادية وحضارية كثيرة ومتنوعة وفائقة. واذا كانت هذه القاعدة مُعطى قومياً، فان اسرائيل تستخدمها لغرض آخر، وتدعمها في ذلك الولايات المتحدة الاميركية. فاسرائيل تضع مواردها وطاقاتها وقدراتها في احدى كفتي الميزان، وتُكوِّم موارد الدول العربية الاحدى والعشرين وطاقاتها وقدراتها في الكفة الاخرى. ومصدر الخطأ والتزييف في صنع هذا الميزان، هو ان الكفة العربية، بالشكل الذي ترسمه اسرائيل وأنصارها، لم تكن، قط، جامعة لعناصر القوى العربية كلها على امتداد الوطن العربي. ان مراجعة سريعة لشريط الصدامات المسلّحة العربية ـ الاسرائيلية منذ العام ١٩٤٨ حتى اليوم، تثبت هذه المقولة، وتجعلها حقيقة واقعة.

ويختزل «الميزان العسكري» في أقصى حدود تعبئته قوة الدولة في مختلف المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والمعنوية، وغيرها. وهي قوة مركبة من عناصر كمية وعناصر كيفية، بعضها ظاهر والآخر باطن. وبذلك يُنظر الى مفهوم الميزان على أنه ذو طبيعة متحركة دينامية، وقابلة للخضوع المستمر للمتغيّرات.

ويذهب بعض الباحثين الى تقدير عناصر الميزان تقديراً رقمياً، فيخصّ:

- العناصر المادية: القدرة الاقتصادية، الكتلة الحيوية (السكان والاقليم)، القدرة العسكرية، القدرة السياسية: بـ (٦٠) علامة من (١٠٠).
- العناصر المعنوية: الارادة القومية، الاهداف الاستراتيجية، القدرة الدبلوماسية: بـ (٤٠) علامة من (١٠٠).

واذا كانت الفئة الاولى (العناصر المادية) تشكل، في مجموعها، العماد المادي والمؤسسي لقوة الدولة، فان الفئة الثانية (العناصر المعنوية) توظّف الفئة الاولى لتحقيق الهدف المرسوم، وتشكّل لها الوعاء الذي تتحرك فيه، وتؤثر فيها تأثيراً جذرياً قد يؤدي الى النصر أو الى الهزيمة، بقدر ما تُحسن الفئة الثانية استخدام الفئة الاولى وتشغيلها بالاسلوب المناسب والكم المناسب في المكان والزمان المناسبين.

ولأن هذه الدراسة ليست مخصّصة للتوسع في المفهوم النظري للميزان العسكري، ولا للتفرعات الكثيرة التي يتفرع اليها كل عنصر من العناصر المادية والمعنوية التي أشرنا اليها، ولا الى تعريف وتقويم كل عنصر رئيس وعنصر فرعي، فاننا ننتقل مباشرة الى المعادلة[٣] التي تجسّد مفهوم ميزان القوى بتحويل العناصر المادية والمعنوية الى أرقام حسابية. وتتألف المعادلة من مجموع أوزان العوامل المادية مضروب بمجموع أوزان العوامل المعنوية. واذا ما أشرنا: بالحرف (ق) الى القدرة الاقتصادية، والحرف (ك) الى الكتلة الحيوية، والحرف (ع) الى القدرة العسكرية، والحرف (س) الى القدرة السياسية (أي فئة العناصر المادية)، والحرف (أ) الى الارادة القومية، والحرف (هـ) الى الاهداف الاستراتيجية، والحرف (د) الى القدرة الدبلوماسية (أي فئة العناصر المعنوية)، فان المعادلة تصبح على الشكل التالي:

(ق + ك + ع + س) × (أ + هـ + د) = القوة الظاهرة للدولة.